سينما

ميريل ستريب مكرَّمة في مهرجان «كانّ»

أداء باهر لشخصياتٍ تفضح وتناقش وتسلّي

في افتتاح مهرجان «كانّ 2024»، تُكرَّم الممثلة الأميركية ميريل ستريب بمنحها «سعفة ذهبية فخرية» تقديراً لسيرتها المهنيّة المتنوّعة

نديم جرجوره

«في كلّ واحدٍ منّا شيءٌ ما من ميريل ستريب». جملةٌ يُطلقها الثنائي الألمانية إيريس كْنوبلَخ والفرنسي تييري فريمو، رئيسة مهرجان «كانّ» السينمائي ومديره الفني، في إعلان رسميّ عن تكريم الممثلة الأميركية في افتتاح الدورة الـ77، المُقامة بين 14 و25 مايو/أيار 2024. جملةٌ تختصر معنى اختيارها لتكريم، تُمنح فيه «سعفة ذهبية فخرية»، بعد 35 عاماً على فوزها بجائزة أفضل ممثلة، عن دورها في «صرخة في الظلام» للأسترالي فْرَد شْبيسي، في الدورة الـ42 (11 . 23 مايو/أيار 1989). في الإعلان نفسه تفسيرٌ لمعنى اختيارها، فهي عاملةٌ في المهنة منذ أكثر من نصف قرن: «لأنّها تسكن في روائع لا تُعدّ، تُشكّل ستريب جزءاً من مخيلتنا الجماعية، ومن «سينيفيليّتنا» المشتركة». يذكر الإعلان بعض تلك الروائع: «كرايمر ضد كرايمر» (1979) لروبرت بِنْتن، و«اختيار صوفي» (1982) لآلن ج. باكولا، و«خارج أفريقيا» (1985) لسيدني بولاك، و«جسور مقاطعة ماديسون» (1995) لكلينت إيستوود، و«الشيطان يرتدي البْرادا» (2006) لديفيد فرانكِل (هؤلاء جميعهم مخرجون أميركيون)، و«ماما ميا» (2008) للإنكليزية فيلّيدا فيليبس.

في بيان كهذا، يستحيل ذكر أفلام ممثلة، ستحتفل عام 2025 بمرور 60 عاماً على بداية عملها السينمائي، من دون تناسي انجذابها إلى المسرح بأنواعٍ مختلفة منه، لكنّ اللافت للانتباه أنّ المذكور، الذي يُراد له نوعٌ من مساواة بين تُحفٍ سينمائية واشتغال كوميدي، يقول ضمناً إنّ أداءها الكوميدي والموسيقي. الغنائي يمتلك سحراً ويُثير متعة مُشاهدة، تماماً كأدائها الدرامي في أفلام تعاين أهوال حياة وعلاقات، وتغوص في حالةٍ أو شعور. المذكور في الإعلان يوازن، وإنْ باختيار أفلامٍ قليلة للغاية (وهذا مفهوم)، بين نمطين، فيهما تتنافس ستريب مع نفسها، لابتكار جديدٍ في التمثيل، ولاختراع ما يُظهر اختلافاً، ولو متواضع، في تقديم كلّ شخصية.

رغم أنّ المذكور مُنفضٌ عن تُحفٍ أخرى، تمتلك جمالياتٍ، تتساوى شكلاً ومضموناً مع المذكور، وتواجِه بلداً واجتماعاً يعانيان مأزق شتّى في السياسة والعلاقات والحياة اليومية والانفعال. ومع أنّ هذه المواجهة تسم الممثلةَ بيساريّة أميركية ما، كما في رائعة Lions For Lambs لروبرت ريدفورد (2007) مثلاً، يبقى الفعل السينمائي أولويةً أساسيةً في إنجاز أي فيلم، من دون حجب أهمية المطروح. The Post لستيفن سبيلبيرغ (2017) مثلٌ على ذلك: عام 1971، تنشر «واشنطن بوست» وثائق مُسرّبة من مؤسّسة استشارية عسكرية، تفضح تناقضات المُعلن والمخبّأ في إدارة حرب فيتنام. للفيلم جانبٌ بديع للغاية، يتمثّل في نقاش حول دور الصحافة في صراعها مع الإدارة السياسية والقيادة العسكرية، وحول مفهوم حريات المهنة وأخلاقياتها وواجباتها، وحول الكذب والعدالة والتحايل والافتراء والحقّ.

في هذين الفيلمين، تؤدّي ميريل ستريب دورين يتشابهان بصورة ما: مع ريدفورد، تكون جانين روث، إعلامية تلفزيونية تحاول التصالح مع نفسها إزاء مهنةٍ، يريد سياسيون التحكّم فيها لمآرب ومصالح خاصة وعامة، فتبحث عن كيفية استعادة المهنة من براثن الخديعة والواقع المهنيّ. ومع سبيلبيرغ، تُصبح كاترين «كاي» غراهام، مالكة صحيفة «واشنطن بوست»، التي تواجه أصعب تحدٍّ لها في صراع خطر بين سياسة وأمن وعسكر ومصالحَ أفرادٍ، ومهنة يُراد تحجيمها لمنعها من كشف وقائع مُثبتة. هذان مثلان لا أكثر، يعكسان شيئاً من حيوية أداء وجماله الفعليّ في إخراج ما في الشخصية من ارتباكات وقناعات ورغبات، عند مواجهة طغاة يرتدون ملابس حملان، أحياناً كثيرة. هذا (حيوية أداء وجماله الفعلي) حاصلٌ أيضاً في «السيّدة الحديدية» (2011) لفيلّيدا لويد: عنوان يُحيل إلى مارغريت تاتشر، رئيسة وزراء المملكة المتحدّة (1979 . 1990)، وستريب تغوص في أعماق تلك الشخصية، المُصابة بالزهايمر، مع أنّها تستعيد لحظاتٍ تصنع حياتها. وإذْ يصعب اختزال سيرة حياة شخصية عامّة في 105 دقيقة، تتجاوز ستريب كلّ صعوبات النصّ السينمائي بما تملكه من قدرة، فنية ونفسية وفكرية وانفعالية، على بلوغ حالة يكاد يختفي معها كلّ فصل بين الممثلة والشخصية العامة.

في بدايات اشتغالها السينمائي، تُمثّل ستريب (ستبلغ 75 عاماً في 22 يونيو/ حزيران 2024) في «صائد الغزال» (The Deer Hunter) لمايكل تشيمينو (1978): التقاط جحيم الفرد والحياة، بسبب حرب فيتنام (مجدّداً). تفكيك البُنى المختلفة التي يُصنع الفرد بها. انغماس وحشيّ، بقدر وحشية الحرب وفوضاها (الذي يفضح The Post بعض خفاياها)، في جنون وخراب ومتاهة وقهر وانكسار وموت وتشويه، والأخير يُصيب روحاً بعنفٍ أقوى من إصابته جسداً. إلى جانب روبرت دي نيرو وجون كازال وكريستوفر واكن (وغيرهم وغيرهنّ)، المتألّقون في تأدية أدوار رئيسية، تُقدِّم ستريب أحد أدوارها الأولى بندّيةٍ تتوافق وما تملكه من مفردات مهنةٍ، تصقلها بتمرين دائم على ابتكار المختلف.

هذه نماذج قليلة للغاية. تكريم ميريل ستريب دافعٌ إلى استعادتها، من دون تجاهل غيرها من تُحفٍ، بفضلها يستضيفها مهرجان «كانّ»، المُصاب بأعطاب لن يُعوّضها تكريمٌ كهذا، رغم أهميته للمهرجان نفسه أساساً.

تكريم ميريل ستريب إضافة إلى المهرجان أكثر منه احتفاء بها

ميريل ستريب: اداء متنوّع بتجديد مستمرّ
(ميغل ريوبا/فرانس برس)

استعادة فيلم قديم لمحاولة فهم راهن

من الأقوى: «الريح» أم «الأسد»؟

محمد صبحي

ليست المرة الأولى التي أتذكر فيها رسالة لمولاي أحمد الريسوني، قائد ثورة القبائل الجبلية في شمال المغرب (سيد الريف، سلطان البربر)، أرسلها إلى ثيودور روزفلت. الرسالة خيالية، تظهر في فيلم أميركي ملحمي بعنوان «الريح والأسد» (1975) لجون ماييليوس (تمثيل شون كونري وكانديس بيرغن)، مستوحى من قصة حقيقية. السيناريو عن زعيم مغربي أمازيغي، يحتجز امرأة يونانية أميركية وأطفالها، ويطالب سلطان المغرب بدفع فدية لإطلاق سراحهم. هذا يضعه في مسار تصادميّ مع الرئيس الأميركي. القصة الحقيقية تتمثل باختطاف المواطن اليوناني الأميركي بيرديكاريس وابن زوجته عام 1904. لهذا تأثيرٌ كبيرٌ على الحملة الرئاسية لروزفلت، الذي ورث الرئاسة من سلفه المُغتال ماكينلي. كان يومها يترشّح لفترة رئاسية جديدة. لا تهدف المقالة إلى توصيةٍ بالفيلم، أو دعوة إلى مشاهدته، رغم أنّي أراه مُسلّياً. الأمر متروك للقارئ لتقرير ذلك. كما لا تنوي إجراء تقييم نقديّ له، أو تحديد مدى تقديمه قراءة إيجابية للإمبريالية، أو مدى استشراق هذا المنتج الثقافي في جوهره. ربما تكون هذه التأويلات صحيحة، لكنّ هدف المقالة أكثر تواضعاً: استعادة مَشاهد والإضاءة عليها، ومناقشة كيفية توافقها مع قراءة أحداث وحقائق حالية. المَشاهد المعنية تحدث مع اقتراب نهايته.

أولاً: بينما يستعدّ روزفلت للتعرّف على دبّه المروع، يهمس أحدهم في أذنه: «التقارير الأولى تفيد بأنّنا نستطيع فعل ما نريد في المغرب يا سيدي. يمكننا أنْ نضع مَن نريد على العرش». ردّاً على ملاحظة شخص آخر، تقول «ليس هناك شكّ في نتيجة الانتخابات»، أجاب روزفلت: «أيها السادة، لا شيء مؤكّد في هذا العالم. لا شيء إطلاقاً. مصير الأمّة سيقرّره الأميركيون في نوفمبر/ تشرين الثاني، ومصير المغرب سأقرّره غداً». تُرك روزفلت بمفرده. جلس عند قدميّ الدبّ وقرأ رسالة الريسوني: «أنت كالريح وأنا كالأسد. أنت مَن يُشكّل الريح. الرمال تلسع عينيّ والأرض جافة. أتحدّاك بزئيري، لكنّك لا تستمع. هناك فرق بيننا: أنا كالأسد، يجب أن أبقى في مكاني. بينما أنت كالريح، لن تعرف مكانك أبداً». أولى الأفكار التي يُمكن الإضاءة عليها، بإيجاز، مستوحاة من السيناريو: إنقاذ امرأة أميركية وأطفالها باستعراض القوة العسكرية، والضغط على حكومات أجنبية، يخدم تماماً غرض تحسين الوضع الداخلي للصورة السياسية للمرشّح الرئاسي، والرئيس الحالي، لأنّها قدّمته منقذاً للمواطنين الأميركيين، وحامي حقوقهم. الفكرة الثانية تتعلّق بحقيقة أنّ حرية البعض تدعمها عبودية البعض الآخر. فكما يرينا الفيلم، مصير الأمّة الأميركية يجب أن يُقرّره مواطنوها الأحرار، في ما يُسمّى بالنظام الديمقراطي. لكنّ مصير المغرب سيُقرّره «غداً» الرئيس الأميركي. هذه إحدى المهامّ العادية المنوط به أداؤها. لا ديمقراطية للمغاربة. لا حاجة لهم إليها أصلاً، لأنّ الرئيس الأميركي يفهم عنهم، ويعرف صالحهم وصالح العالم.

الفكرة الأكثر إثارة للاهتمام تَرِد في المجاز الذي اقترحه الريسوني في رسالته، في صورة الريح والأسد. من الأقوى: الريح أم الأسد؟ إذا كنّا نتحدّث عن واقع ملموس، ينبغي ألاّ يكون هناك شكّ: الريح تستطيع فعل ما لا يستطيع الأسد فعله. غير أنّ الاستعارات تسمح باختلافاتٍ تفلت من حدود الملموس. في رسالته، يستخدم الريسوني صورتي الريح والأسد للإشارة إلى الاختلافات بينه، كونه رجلاً جبلياً وزعيماً قبلياً وأمازيغياً تعتمد حياته على علاقته بالأرض، وروزفلت، الذي يمارس سلطته على أماكن بعيدة، لا يعرف عنها سوى القليل، لكنْ بخفّةٍ مثل الريح التي تُثير عاصفة. الريسوني، العارف بموقعه ومكانه، يعرف مَن هو، بسبب ارتباطه بالأرض.

كانديس بيرغن وشون كونري في «الريح والأسد» (Getty)

استعادة مَشاهد ومناقشة كيفية توافقها مع أحداث حالية

أفلام جديدة

■ The Idea Of You لمايكل شووالتر، تمثيل آن هاثاواي (Getty) ونيكولاس غالِيتْزين: سولين مارشان (40 عاماً) أم مُطلّقة. بعد طلب في اللحظة الأخيرة من زوجها السابق، ترافق ابنتها (15 عاماً) إلى «مهرجان كوتشيلا الموسيقيّ». هناك، تأخذ الأمور منعطفاً مفاجئاً، عندما تبدأ سولين قصّة حبّ ينشأ مع هايز كامبل (24 عاماً)، المغنّي الرئيسي في فرقة الصبيان الأكثر جاذبية في العالم، الذي يؤدّي عروضه على خشبة المسرح في المهرجان نفسه.

■ Unfrosted لجيري سانفيلد مخرجاً وممثلاً، مع مِليسّا ماك كارثي (FilmMagic) هيو غرانت: عودة إلى عام 1963، في الولاية الأميركية ميشيغان، لالتقاط لحظة تاريخية في صناعة المأكولات، عبر سرد حكاية التنافس المرير بين شركتي Kellogg's وPost، وكلّ واحدة منهما متخصّصة حينها بما يُعرف بـ«حبوب الفطور». التنافس يبلغ مرتبة الحرب، بسبب إطلاق كلّ منهما منتجا جديدا بهدف «تحديث وجبة الفطور»، واسمه Pop-Tart.

■ Rebel Moon – Part Two: The Scargiver لزاك سنايدر، تمثيل صوفيا بوتيلّا (Getty) ودْجيمون هونسن وأنتوني هوبكنز: في تتمة الجزء الأول، ذي العنوان الفرعي «طفل من نار» (2023) لسنايدر نفسه، تستعد كورا والمحاربون الناجون للقتال دفاعاً عن عالمهم الأصلي الجديد «فيلدت»، مع شعبها والمزارعين ضد المملكة. يكشف المحاربون عن دوافعهم من خلال ماضيهم، إذْ تصل قوات المملكة لمطاردة التمرّد المتزايد وتدميره.

■ Infinity Pool لبراندن كروننبيرغ، تمثيل ألكسندر سكارسغارد وكليوباترا كولمان (Getty) وتوماس كرتْشمان وجليل لسْبيرت: يستمتع جيمس وإمْ فوستر بإجازة يُمضيانها منذ بعض الوقت على شاطئ رائع في جزيرة «لا تولكا». لكنْ، يحصل أنْ يُكشف فجأة عن حادث مميت، يُشوِّه النقاء في ذاك الشاطئ، والحادث يتمثّل بجانب فاسد للمنتجع: سياحة المتعة، والعنف الشديد، والأهوال السريالية.

■ One More Shot لجيمس نانّ، تمثيل سكوت أتكنس وألكسيس كْناب (Getty) وتوم بيرينغر: تتعرّض قاعدة عسكرية سرّية في بولندا لهجوم مفاجئ يليه حصار قاس. هذا يدفع جندي البحرية جايك هاريس لاستخدام كلّ مهاراته العسكرية، كي ينجو من الحصار، خاصة بعد اكتشافه أنّ المرتزقة الذين يحاصرونه يحاولون القبض على إرهابيّ مشتبه به يُدعى أمين منصور.